الصورة الرمزية لنخلة بقصر الحمراء

أ.د حميدة صالح البلداوي*

ماهية الصورة الرمزية

الرمز علامةٌ يُستعان بها للعودة إلى أمرٍ متعلّق ، ومعهود في الفكر والوجدان الانساني كارتباط الغراب بالفراق ، والحمامة بالألفة ، والبحر بالعطاء، والبرق بالحنين ... وما إلى ذلك من محسوسات خارجية تؤول إلى دلالات متعدّدة . فالرمز الفني هو (البنية الحيّة التي يصحّ التوقف عندها وتأملها لذاتها ، وأقوى إماراته حساسيته المرهفة بالسياق وتأثره البالغ به)[١]

ومن سمات هذا الرمز أن ما فيه من إشارة (ليس أساسه المواضعة أو الاصطلاح كما هو الحال في الرموز العامة وانما أساسه اكتشاف نوعٍ من التشابه الجوهري بين شيئين اكتشافاً ذاتياً)[٢]

أمّا الصورة الرمزية فإنّها بايحائها الفني الجميل توضّح المعنى الذي يرومه الأديب- شاعراً كان أم ناثراً - وسبيلها يكون عن طريق (إدراك القيمة التماثلية بين المحسوس والمجرد كما يرى كانت ، وعن طريق إدراك الاستنتاجية كما يرى هيجل)[٣] ، وهي بذلك تساعد على نماء المعنى وتجسيده في ذهن المتلقي .

وكما هام شعراء المشرق بالطبيعة وحمَّلوا رمزها آثار تجاربهم الانسانية (كان شعراء الأندلس أكثر منهم ولعاً وأشدّ شغفاً بهذا اللون الوصفي)[٤].

وما يهمنا في هذا البحث هو (رمز النخلة) فقد تعاطى الشعراء مدلول هذا الرمز منذ عصر الإمارة، فكان للأمير الشاعر (عبد الرحمن الداخل ت١٧١هـ) ابداعه الشعري في مقطوعات تناجي نخلة الرصافة في قصر الخلافة بقرطبة وتبثها الحنين والشوق للأهل في المشرق ، وتجعل منها مكافئاً للاغتراب والبعد عن المنبت والأصل في قوله :

تبدّت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن منبت الأصل [٥]

على أنّ ميدان بحثنا سيتجاوز هذا الزمن وذاك المكان ليحطّ عند العصور المتأخرة من الحكم العربي في الأندلس ، ويعرض رسالة أدبية للأديب القاضي أبي الحسن النباهي (ت٧٩٢هـ) علي بن عبد الله الجذامي المالقي صاحب كتاب (المرقبة العليا) اختارها ابن الخطيب لتكون من منتقياته في كتابه الإحاطة [٦] .

سيعرّف البحث بالرسالة ، ويحاول التوقف عند عناصر الإبداع ومواطن القوة في توظيف هذا الرمز، وكيف استطاعت النخلة أن تكون صورة رمزية لما أراد الأديب توصيله من رسالة فنية وسياسية ، فقد ساعده هذا الرمز كي (يتوقّف عند موضوع معين وأن يجعله مركزاً جوهرياً لجملة من تمثيلات أخرى بعيدة بقدر أو بآخر وقادرة على الاعلاء من شأن المضمون المركزي)[٧] .

أولاً : المقصد الفني

الرسالة قصيرة تقع في حوالي ثلاث صفحات تتخللها أربعة أبيات شعرية من نظم الكاتب نفسه، وهي تتناول وصفاً لنخلةٍ بفناء قصر الحمراء عن طريق السرد والحوار والتداعيات الاسترجاعية .

وقد جاء السرد الوصفي صورة معبّرة عن الحالة الراهنة للدولة ازاء القوة الخارجية متخذاً من لسان حال النخلة التي تشكو الظلم والأذى رمزاً من بداية الرسالة ، فالوصف (أكثر لزوماً للنصّ السردي ... ذلك لأنّه أسهل علينا أن نصف دون أن نحكي من أن نحكي دون أن نصف)[٨] ، وكان أبلغ مشهد وأشدّه تأثيراً مشهد قطع النخلة ، فقد جاء تصويره على لسان النخلة بأفعالٍ موحية دقيقة.

اشتغل السارد على تقنية الوصف لأنّه أكثر ملاءمة لحال النخلة ، فمشهدها عند اللقاء : (جارة حائط الدار الواقفة للخدمة كالمنار ، على سدّة الجدار ، بياض النهار وسواد الليل المتلفّعة بشعار الوقار المكفولة الذيل أنيسة مشيخة الجماعة القاطنة من الحمراء العليّة ... الواعظة للقريب والبعيد بمقامها صامتة على الصعيد) ،

---

* قسم اللغة العربية ـ كلية التربية للبنات ـ جامعة بغداد

[١] الصورة الأدبية : مصطفى ناصف : ١٥٥ .
[٢] الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، محمد فتوح أحمد : ٣٧ .
[٣] ينظر : الرمزية والأدب العربي الحديث ، انطوان غطاس كرم : ٩ .
[٤] الرمز الشعري عند الصوفية ، عاطف جوده نصر : ٣٠١ .
[٥] نفح الطيب : المقرّي : ٣ / ٥١ .
[٦] الاحاطة ، ابن الخطيب : ٤ / ٧٤ .
[٧] الفن الرمزي ، هيجل : ١٦٤ .
[٨] خطاب الحكاية ، جيرار جينيت : ٦٧ .

ومشهدها بعد التحية مسرورة بهذا السلام فقد (اهتزت عند النداء اهتزاز السرور). أمّا مشهدها وهي تتلقى ضربات أعدائها فهو قولها شاكيةً : (إن وقاري حسَّن لدى الحيّ احتقاري وكثرة قناعتي أثمرت اضاعتي).

وتأتي مفردة (اضاعتي) في موضعها المناسب تنبيهاً لما سيؤول إليه هذا الاهمال تقول متواصلة : (فكيف يسهل عليكم اليوم اهمالي ويجمل لديكم إخمالي وترك احتمالي ؟).

وجاء الوصف متخلّلا خطابها الشاكي وهو من المشاهد المحمّلة بالسرد والدلالة كما حفلت المفاضلة بين (الرطب والعنب) بتقنية الوصف تأكيداً على أهمية النخلة وأصلها الطيب الكريم عائداً بالقارئ إلى موقفٍ مماثل بين الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وجماعةٍ حكَّموه في هذا الموضوع ففضَّل الرطب .

إنّ هذا المشهد الاسترجاعي بما يحمل من قيمة توثيقية عالية ، وقيمة فنية ماهرة لم يُحدث قطعاً بل تلاحماً في النص المسرود . يقول الخليفة عمر (رض) (الراسخات في العقل المطعمات في المِحَل تحفة الصائم ونقلة الصبي القادم ، ونزل مريم بنت عمران . والنخلة هي التي مثّل بها المؤمن من الانسان ليس كالزبيب إن أكلته ضرست ، وإن تركته غربت).

تداخل الوصف السردي مع النخلة رمزاً لبقايا السيادة العربية بجانبيها المرئي شكلاً (لا تمر فيها ، لا نفع فيها) والواقعي حالاً (مهملة يقع عليها الأذى والاعتداء ولا من نصير) . وقد استخدم أسلوب الحكاية البسيطة ومع أسلوب الحكاية هناك أسلوب الحوار مع الآخر وقد جاءت الصورة الرمزية طريقاً لإثارة الأحداث والمعاني فكان من مقوماتها :

١ـ التوثيق منهجاً : جاء التوثيق منهجاً في بناء السرد وصفاً وحواراً وهذا التوثيق كان على لسان متكلّم تطوَّع بالجواب عن النخلة بأبلغ حجج وأمتن أدلة بشهادة السارد نفسه حيث قال (وعلى أنّه ما قال إلا حقّاً فبعداً للمرء وسحقاً) .

يقول الأديب واصفاً النخلة : (فما أحقّك من باسقةٍ بالترحيب) مشيراً إلى قوله تعالى (والنخلُ باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد) [البقرة : ١٠]

وفي نعتها أيضاً يقول (الغريبة الشمّاء التي أصلها ثابت وفرعها في السماء) محيلاً إلى قوله تعالى (ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) [إبراهيم : ٢٤].

وقد ذكر الله عزّ وجل النخلة فجعلها شجرة [٩] وهي الكريمة الأصل الطيبة المكان بما جاء في قصة مريم (ع) جاء في الرسالة في باب المفاضلة مع العنب على لسان عمر (رض) أنّها (نزل مريم بنت عمران) وورد في القرآن الكريم (وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيّا) [مريم :٤] .

أمّا عن المأثور النبوي فقد جاء في الرسالة (والنخلة هي التي مثّل بها المؤمن من الانسان) وهي من قوله (ص) : (من الشجر شجرة تكون مثل المسلم وهي النخلة)[١٠] وقوله (ص) أيضاً في بركتها (إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم)[١١] .

وحين تواصل النخلة شكواها من المعتدي بقولها : (ورفعه لبيعة كفره على رأسه بعد الأمر بوضعه على أسنمة القبور كما ثبت في الحديث المشهور) فإنّ الإحالة تأتي إلى ما ورد عنه (ص) (ثم أخذ جريدة رطبة شقّها بنصفين ثم غرز في كلّ قبر واحدة فقالوا : يا رسول الله لِمَ صنعت هذا ؟ فقال لعلّه أن يخفّف عنهما مالم ييبسا)[١٢]

أمّا ما جاء في خطاب النخلة مفتخرة بأنّها (من ذرية الفريق الموجب المضروب به المثل يوم السقيفة) فيعيدنا إلى ما جاء في كتاب (البيان والتبيين) في خطبة (حباب بن المنذر الأنصاري) يوم السقيفة (أنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجّب) ويشرح الجاحظ ما تقدم قائلاً (أي أنّ له عشيرة تمنعه وتعضده)[١٣] وهي إشارة تاريخية إلى النسب العربي الأصيل .

٢ـ دلالة اللغة : يتحقق جمال النظم وقوة تأثيره في النفس بأن (توضع الألفاظ في مواضعها)[١٤] ولقد كانت هناك دلالات خاصة لبعض الألفاظ يعود القسم الأكبر منها إلى مفردات التراث والثقافة العربية . ولقد جاءت حيناً شديدة الايحاء وبالأخص في تصوير مشهد قطع النخلة كما في قولها (يجدع ... أنفي) . فالأنف رمز الكبرياء والعزّة عند العرب وهم يفتخرون بأنّهم (شمّ الأنوف)، لا يرضون بالذلّ والخنوع ، وجدع الأنف أقسى ما يلقاه الكريم يقول حسّان بن ثابت مفتخراً :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شمّ الأنــوف من الطراز الأوّل [١٥]

---

[٩] ينظر : البيان والتبيين ، الجاحظ : ٣ / ٣٥ .
[١٠] صحيح البخاري الحديث رقم ٥٤٤٨ .
[١١] م . ن الحديث رقم ٥٤٤٤ .
[١٢] م . ن الحديث رقم ١٣٦١ .
[١٣] البيان والتبيين ٣ / ٢٩٦ .
[١٤] كاب الصناعتين ، العسكري : ١٦١ .
[١٥] شرح ديوان حسان بن ثابت : ٣٦٦ .

وفي قولها أيضاً (جدْم بناني) مصوّرة ما حلّ بها على يد المعتدي ، فقد جاءت لفظة (بناني) محمّلة بالايحاء الدقيق لبيان منتهى الأذى والشدّة محيلاً إلى القرآن ضمنيا بما ورد في آيتين كريمتين منها ما يخصّ معركة بدر. يقول تعالى في خطاب المسلمين بالضرب بشدّة على الكافرين [فاضربوا منهم كلّ بنان] (الأنفال : ١٢) وكذلك في قوله تعالى [بلى قادرين على أن نسوّي بنانه] (القيامة : ٤) بياناً لقدرته سبحانه على أن يعيد عظام الانسان الصغيرة فكيف بالكبيرة والخطاب للكفار المشككين بقدرة الخالق [١٦]

ومن ألفاظ المكان الدالّة بإيحاء مقصود ذكر (البيرة) وهي من (أشرف الكور) [١٧] كما يصفها ابن الخطيب وفيها نزل جند دمشق ، ولقد كانت موطن الدعوة العربية في القرن الثالث للهجرة وكان من رؤسائها الفرسان (يحيى بن صقالة) (أول من قام بدعوة العرب في منطقة البيرة وما حولها)[١٨] . وسعيد بن جودي وهو من قبيلة هوازن من العرب الأوائل الذين استقروا في هذا البلد [١٩] ، ومنها الشاعر الزاهد (أبو اسحاق الألبيري) (ت٤٦٠هـ) الذي عُدّ بحق (شاعر المعارضة والزهد والسياسة)[٢٠] حيث ألّب الناس بقصيدة مناهضة على يوسف بن النغريلة ـ الذي اجترأ على الاسلام والمسلمين ـ ونجح في إثارة أهل غرناطة على هذا الوزير اليهودي .

فدلالة المكان كما يبدو تشير إلى العربيّة المحضة . وأمّا ألفاظ الزمان الموحية فلدينا إشارة إلى عصر الرسالة المحمديّة وعصر الخلافة ، فمع الأحاديث النبوية الشريفة هناك المفاضلة التي عقدت بين الرطب والعنب ، وحكّم فيها الخليفة عمر (رض) والعصر الاسلامي يدل دلالة واضحة على قوة العرب وسيادتهم .

وأمّا الاعلام فهناك التنويه بفضل (الجاحظ) (ت٢٥٥هـ) الذي دافع عن العرب وتصدّى برسالته (العصا) لتقوّلات وانتقاصات فرقة (الشعوبية) من العرب ومكانتهم .

هكذا تعامل السارد مع النخلة وحوّلها من كونها أثراً طبيعياً إلى رمزٍ فاعلٍ وقدّم أفكاره من خلال صورتها الرمزية منتقلاً في الزمن النفسي من حاضرٍ لماضٍ فمستقبل استرجاعا واستباقا ، وفي الأسلوب من خطاب حواري إلى سرد وصفي ، إلى متحدث بقناع شخصية (المتكلم بلسان القالي) فالسارد (هو الذي يخفي أفكار الشخصيات أو يجلوها ... ويجعلنا بذلك نقاسمه تصوّره (للنفسية) وهو الذي يختار الخطاب المباشر أو الخطاب المحكي ويختار التتالي الزمني بالانقلابات الزمنية)[٢١] .

٣ـ الفنون البيانية : مع قصر الرسالة فقد رُسمت الصورة الرمزية للنخلة بدقة لتجسِّم بذلك المعنى الذي ابتغاه الأديب بفنون البيان من تشبيه واستعارة وكناية . فمن التشبيه وصفه لها بنعوت تريح النفس وتبهج الخاطر بنيّة الدفاع عنها والانتصار لها (إذ هي ... كالسّحاب تجود بغيثها على الأكام والضراب...) وفي فرحتها بلقائه وسلامه عليها يقول أنّها (اهتزت اهتزاز السرور) . ومن الاستعارات التي شخّصت النخلة وأنطقتها بالشكوى قولها (إنّ الدهر عجم قناتي ومسّ الكبر سِناتي وما عسى أن أبثّ من ثكناتي) وهو يصورها بالمرأة التي مسّها الكبر ، ثم يدعو لها بعودة الشباب والتزيّن بأجمل الثياب ألواناً من أصفر إلى أخضر زاهٍ (ويعود إليها شرخ شبابها ، وتستحكم صفرة ثيابها وخضرة جلبابها).

ومن الكناية عن الوعظ بالحال وليس المقال قوله أنّها : (الواعظة للقريب والبعيد بمقامها صامتة على الصعيد) وكنايته عن رفعة مقامها الذي يؤهلها أن تُصان عن الابتذال والأذى فهي (المكفولة الذيل أنيسة مشيخة الجماعة) .

وعن طريق التضاد ينتقل بنا السارد من حال إلى حال ومن صورة لنقيضتها ومن زمن لما يقابله ، فمن نقائض الأفعال والنتائج التي تنجم عنها قوله : (وإن وقعت هفوة صغيرة أعقبتها حسنة كبيرة) ومن تصوير الأذى البليغ الواقع على النخلة مع مالها من مكانة في النفوس قوله (إن وقاري حسَّ لدى الحيّ احتقاري) ومن تضاد الزمن الدال على الاستمرار وصفه لخدمتها ووقوفها الصامت الماثل للعيان (بياض النهار وسواد الليل) وكما صوّرها في حال الأسى والشكوى نقل لنا صورة أخرى لها في استقبالها له وقد (تمايلت أكمامها تمايل الثمل المسرور) .

وأمّا التناسب الصوتي فقد أضفى على الحوار مسحةً شعرية وأعادنا إلى كون منشئ الرسالة شاعراً لم يكتفِ بتحلية الرسالة بشعره ، بل جاءت البُنى السردية وصفاً وحواراً وكأنّها أشطار قِصار من الشعر بتناسق جميل كما في قوله : (وكثرة قناعتي أثمرت (إضاعتي ، وكمال قدّي أوجبَ قدّي) فضلاً عن غلبة فن الجناس والشواهد كثيرة ننقل منها قوله فضلاً عمّا تقدم (والدمع لما جفاني يغيض من أجفاني) وقوله أيضاً مخاطباً النخلة (حسبك السمح لك بالمقام مادمتِ حية في هذا المقام) والتناسق واضح في هذا المقطع فهو يساوي بين المقام والمقام وبين ضميري المخاطبة (الكاف والتاء) وحروف الجر أيضاً ، ويقارب بين (حسبك) أي (يكفيك) و

---

[١٦] ينظر : تفسير الجلالين للسيوطي : ٧٧٢ .
[١٧] الاحاطة : ١ / ١٧ .
[١٨] سعيد بن جودي الألبيري وسيرته وشعره ، محمد رضوان الداية : ٤٥ .
[١٩] م . ن ٤٨ .
[٢٠] مع شعراء الأندلس والمتنبي ، غرسيه غومس : ٩٢ .
[٢١] الشعرية ، تودوروف : ٥٦ .

(مادمت) من حيث المعنى المراد ، فالكفاية مرهونة ببقاء المكتفي لهذه الحاجة وهي الإقامة . وتأتي اجابته بالايقاع المتناسب المتوازن ذاته بكلمات مجانسة مماثلة (والأيام والحمد لله ـ مساعدة ، والملك ملك بني ساعدة .

ثانياً : المقصد السياسي

الفخر بالعروبة والدعوة لمواجهة الأعداء ومنهم بعض المولدين الناقضين للعهد أمرٌ له أولياته فحركة (الدعوة العربية كانت رداً على حركة المولدين التي لم تكن تكترث لاضطراب الأمن ولا الكوارث الاقتصادية والاجتماعية ، ولم يكن ولاؤها للدولة صحيحاً ولا سليماً)[٢٢] .

وقد نشطت في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة حتى مجيء عبد الرحمن الناصر الذي تمكن من إطفاء الفتنة وكان من أشهر مثيريها (ابن حفصون)[٢٣] الذي كانت دعوته (شعوبية ذات نزعة عدوانية في جانب من جوانبها المهمة)[٢٤] .

أمّا قائد الثورة العربية ـ آنذاك ـ سعيد بن جودي (ت٢٨٤هـ) الفارس الشاعر فقد كان شخصية لها شأنها وتأثيرها في هذه المرحلة بمواقفه البطولية وشعره الحماسي في الهجوم على المولدين وحلفائهم والفخر بالعرب والحمية الدينية وكان صوته جهورياً عالياً وليس إيحائياً رمزياً كما في قوله يمدح القائد العربي سوار بن حمدون : [٢٥]

لقد سلّ سوّار عليكم مهندا يحزّ بهِ الهاماتِ حزّ المفاصلِ
به قتل الله الذين تحزّبوا علينا وكانوا أهل إفك وباطلِ

ولقد بقيت هذه النزعة تظهر بين آونة وأُخرى فكان من مظاهرها في عصر الطوائف رسالة أبي عامر بن غرسيه في مناهضة العرب والفخر عليهم التي تصدّى لها أدباء الأندلس برسائلهم البليغة [٢٦] ومنهم عبد المنعم القروي الذي نختار له منها قوله (لهم العرب العاربة ومنهم عاد الغالبة ... ومنهم ثمود الذين جابوا الصخر بالواد ونحتوا البيوت من الأطواد ... لهم القضب والخضيم والنخل التي طلعها هضيم)[٢٧].

ولهذا الموضوع جذور في أدب المشرق العربي ومن أشهر مظاهره الأدبية رسالة العصا للجاحظ[٢٨] التي ردّ فيها على الشعوبية الذين طعنوا على العرب اتخاذهم العصيّ في خطبهم ومناسباتهم وإن العصا انما هي للقتال وليس بينها وبين الكلام سبب ، ويبدأ الجاحظ دفاعه بأن العصا مأخوذ من أصل كريم ومعدن شريف مبتدئاً بذكر الأنبياء كسليمان (ع) ومنسأته وموسى (ع) وعصاه ، ثم يقدم أدلة كثيرة على فضل الشجرة وأنه سبحانه بارك الشجرة والعصا فهي رمز للبيئة العربية والأصل الشريف وتأتي الأحاديث النبوية لتعزّز قيمة النخلة . ولسوف تتضح الرسالة السياسية في هذا الأثر الأدبي بشكل غير مباشر من خلال توظيف النخلة رمزاً ، إذ وجد البحث مسوِّغات لجعل هذا الأثر بصورته الرمزية استنهاضاً للعرب ونقداً لما آل إليه حالهم ذلك أن الأعمال الأدبية (هي ظواهر معقدة لذلك يجب فهم العناصر المتفرقة فيها ـ كالتلميح السياسي مثلاً ـ في سياق بناء العمل الأدبي كلّه لكي يؤدي المعنى السياسي المحض)[٢٩] فمن هذه المسوّغات :

١ـ الاستهلال : أول ما يطالعنا في الرسالة بعد الدعاء ثلاثة أبيات جعلها الأديب سلاماً وجهراً بالمحبة والهيام بأرض النخلة العريقة في أصولها وجذورها :

بأرضِ النخلِ قلبي مستهام كيف يطيب لي عنها المقام ؟
لذاك إذا رأيت لها شبيهاً أقول وما يُصاحِبني مُ
ألا يا نخلة من ذات عرقٍ عليك ورحمة اللهالسلام

ويأتي ارتباط نخلة الأندلس بشبيهتها نخلة المشرق بما يريد الإشارة إليه وهو رمز السيادة العربية بأنّها (واقفة للخدمة كالمنار ... المكفولة الذيل أنيسة مشيخة الجماعة القاطنة من الحمراء العلية) ثم يدعو لها بالسقيا وهو موروث قديم.

سقاكِ من الغُرِّ الغوادي مطيرها لا زلتِ في خير راء غضّ نديرها

٢ـ الشكوى : أنطق الأديب النخلة بعد الاستهلال وجعلها تشكو من حالها مستشهدة بما أثر عن العرب من أمثالٍ في حقها قائلة :

---

[٢٢] سعيد بن جودي : ١٧ .
[٢٣] هو عمر بن حفص بن عمر جده الرابع جعفر هو أول من أسلم من أسرته أثار الفتنة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن وأعلن تنصره وحارب جيش الدولة متمرداً وظل على ذلك حتى سنة ٣٠٥هـ أيام عبد الرحمن الناصر ، ينظر : جذوة المقتبس للحميدي : ٢٨٢ .
[٢٤] سعيد بن جودي : ٢٧ .
[٢٥] م . ن : ٩٤ .
[٢٦] ومنهم أحمد بن محمد البلنسي وابن عباس ، ينظر : الذخيرة ٦ / ٧١٥ .
[٢٧] الذخيرة لابن بسام ٦ / ٧٢٨ .
[٢٨] ينظر : البيان والتبيين ٣ / ٥ .
[٢٩] بناء النص التراثي ، فدوى مالطي : ١٧ .

(ثم قالت لسائلها بلسان وسائلها : عند مشاهدة مثلي تقول العرب : عينها قرارها ، وابن جدّها للناظرين اصفرارها ، وجملة بخيتي بعد اتمام تحيتي أن الدهر عجم قناتي ومسُّ الكبر كدَّر سناتي ، وما عسى أن أبث من ثكناتي وجلّ عِلاتي من تركيب ذاتي ، ولكنّي أجد مع ذلك أن وقاري حسّن لدى الحيّ احتقاري ، وكثرة قناعتي أثمرت إضاعتي وكمال قدّي أوجب قدّي) وحاول السارد منذ بداية حواره مع النخلة وضع جملة أخبار قائمة على عِتاب الطرف الآخر وتنبيهه لأسباب وضعها المؤلم وهو عدوان المعتدي من اليهود و المجوس كل عام بالقطع والجذم (فما أنس م الأشياء لا أنسَ عدوان جعسوس من لعبوش اليهود أو المجوس يفحص بمديته عن وريدي ويحرص على مدّ جريدي ويجدع كل عام بخنجره أنفي ... والجعسوس الخبيث المنحوس قد شدّ ما حدّ بأمراسه ورفعه لبيعة كفره على رأسه) .

٣ـ الاستنهاض والاستنفار: وقد تَحقّق بصورٍ عدّة ومنها التذكير بصلة الرحم (لَحَملثكم يا بني سام وحام على الغيرة وشائج الأرحام فقد علمتم بنصّ الأثر أني عمّتكم القديمة) ومنها النسب الانصاري (وإن لم أكن لذلك بأهل فإني لكم اليوم خديمة أو من ذرية الفريق الموجب المضروب به المثل يوم السقيفة لمن رام من أشراف الأندلس أن يكون إذ ذاك خليفة) .

وهناك النسب المتّصل بالحكم العربي في الأندلس تذكيراً بنخلة عبد الرحمن الداخل أول أمراء الأندلس (وخالة أبي كانت النخلة البرشا الكبيرة التي حادثها الأمير عبد الرحمن بالرصافة القريبة من كورة البيرة ، فكيف يسهل اليوم عليكم اهمالي ، ويجمل لديكم اخمالي وترك احتمالي والأيام والحمد لله مساعدة والملك ملك بني ساعدة ؟؟) .

٤ـ تفضيل النخلة : فقد نقلَ لنا عقدَ مفاضلة أدبية بين النخلة والعنب فيما روي عن الخليفة عمر (رض) مع ذكر أسباب ترجيحها مشفعاً ذلك بآية قرآنية كريمة مع إشارة إلى الأديب الجاحظ الذي نوّه بفضلها في ردّه على الشعوبية ، فتفضيلها تذكير بفضل العرب ومكانتهم العريقة .

٥ـ التفاؤل : وبه ختم الرسالة فيما أشاعه من أملٍ بعودة هذه النخلة إلى عزّها وحيويتها ونضارة جناها ، رمزاً لعودة الدولة العربية إلى سابق قوتها ومكانتها (لعلّ عباسة أديم دوّها أن تذهب وأكمام عباسة قنوها أن تفضضّ بنعيم النضارة ثم تُذْهَب ، ويعود إليها شرخ شبابها وتستحكم صفرة ثيابها وخضرة جلبابها وذلك كلّه بمن اللطيف الخبير من أسهل العمل على مجد الأمير وفضل الوزير ...)

جاءت النخلة بصورتها الرمزية استجابة لما هو موروث عنها من أجيال عدة من السلف فهي (الرمز الذي يؤدي وظيفة نفطن إليها ونعترف بها ، يشخّص خبرة عامة يتردّد صداها من ضمير إلى ضمير أثناء أزمان متطاولة ولن يقوى على ذلك ما لم يرتفع على ما هو شخصي أو موضعي ويصبح عاملاً من عوامل الاتصال المنتجة)[٣٠]

خ صة البحث :

الصورة الرمزية توحي بالشيء الذي ترمز إليه وتجسد المعنى في وجدان المتلقي بمراعاة السياق العام وقد بنيت رسالة الأديب النباهي على حكاية بسيطة مفادها أن النخلة التي حلّت مكانة أثيرة في نفوس العرب لأصلها الطيب ومنبتها العريق وثمرها الشهيّ ، قد فقدت هذه المكانة مع أنّها ظلت واقفة بوقار وصمت قرب جدار قصر الحمراء بالخدمة والعطاء ، فهي تبثّ شكواها من الاهمال والأذى وتحذّر من التضييع وتستنهض وتستنفر وتبيّن علّة الأذى الواقع عليها .

بهذه الأفكار وجد البحث أن النخلة كانت رمزاً لبقايا السيادة العربية التي اقتصرت على (غرناطة) وأنّها بشكواها كانت تنبّه وتلمّح إلى الخطر القادم ، ولقد تحقق حضور هذه الصورة الرمزية بجملة فنون بلاغية ، وبتقنيات السرد الموضوعي من خلال الاستهلال والوصف والعرض وتقنيات السرد الذاتي بالحوار والاسترجاع ، ولأنّ الرمز (يحول الظاهرة الطبيعية إلى فكرة ، والفكرة إلى صورة فالرمز إذن يحمل معنى ذاتياً في الوقت الذي يوحي بمعنى غير محدود خارج عنه ومنوط به)[٣١]

المصادر والمراجع:

١ـ الاحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب ، شرحه وقدم له د. يوسف علي طويل ط دار الكب العلمية بيروت ٢٠٠٣ .
٢ـ بناء النص التراثي ، فدوى مالطي : الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة مصر .
٣ ـ البيان والتبيين ، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ط المدني القاهرة ١٩٨٥ .
٤ـ تفسير الجلالين ، السيوطي ، مطبعة الهاشمية دمشق ١٣٨٥هـ .

---

[٣٠] الصورة الأدبية ، مصطفى ناصف : ١٨٣ .
[٣١] الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني ، أمية حمدان : ٢٧٠ .

٥ـ خطاب الحكاية ، جيرار جينيت ، ترجمة محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حسني ط القاهرة ٢٠٠٠ .
٦ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام الشنتريني ، تحقيق د. احسان عباس . دار الثقافة بيروت ١٩٧٩ .
٧ـ الرمز الشعري عند الصوفية ، عاطف جودة نصر ، دار الأندلس والكندي للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٨ .
٨ـ الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، د. محمد فتوح أحمد ، دار المعارف مصر ١٩٨٤ .
٩ـ الرمزية والأدب العربي الحديث ، انطوان غطاس كرم . دار الكشاف بيروت ١٩٧٨ .
١٠ـ الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني ، أمية حمدان حمدان ، منشورات دار الرشيد بغداد ١٩٨١ .
١١ـ سعيد بن جودي الألبيري (سيرته ومجموع شعره) محمد رضوان الداية ط دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق ١٩٩٧ .
١٢ـ شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ضبط الديوان وصححه عبد الرحمن برتوقي دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٠ .
١٣ـ الشعرية ، تودوروف ، ترجمة د. شكري المبخوت و رجاء بن سلامة ط الدار البيضاء ١٩٨٧ .
١٤ـ صحيح البخاري ، البخاري محمد بن اسماعيل ط احياء التراث ٢٠٠١ .
١٥ـ الصورة الأدبية ، مصطفى ناصف ط دار مصر للطباعة ١٩٥٨ .
١٦ـ الفن الرمزي ، هيجل ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة بيروت ١٩٧٩
١٧ـ كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٥٢ .
١٨ـ مع شعراء الأندلس والمتنبي ، غرسيه غومس ، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي ط ١٩٧٤ .
١٩ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المقرّي التلمساني ، تحقيق د. احسان عباس . دار صادر بيروت ١٩٦٨ .

The Symbolic Image of a Palm in Alhambra

Prof. Hameedah Salih Al-Baldawi

Department of Arabic - College of Education for Women

University of Baghdad

Abstract

The symbolic image refers to the thing which symbolizes it and embodies the meaning in the recipient's conscience taking into consideration the general context. The thesis of Al-Nibahi is based on a simple tale stating that the palm, which had a venerable status among the Arabs because of its good origin, ingrained springing and its delicious fruit, lost its status; however, it continued standing in veneration and silence near the wall of Alhambra. This palm has complained from harm and negligence, as it has warned of the waste, and awakened the people to present the defect of its harm. This research finds through these ideas that the palm was a symbol of the remains

of the Arabic sovereignty which restricted to Granada. The complaints of the palm warned and referred to the next threat. The presence of this image has achieved by several rhetorical arts, the techniques of objective narration by enlistment, description and presentation, and the techniques of subjective narration by dialogue and retrieval. The symbol transforms the natural phenomena into an idea, and an idea into an image; thus, the symbol has a subjective meaning at the time it refers to unlimited meaning out of it and depending on it.